أدلة وجود الله تعالى

في ضوء العقل والنقل

منهج وتطبيق

بقلم

دكتور

محمد علي عز العرب السماحي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، المعبود بحق الذى لا إله إلا هو والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) (١)

وبعد .....

فإن الدليل على وجود الله تعالى من أهم قواعد الإيمان التى جاء بها الإسلام واهتم بها القرآن الكريم اهتماماً عظيماً وشغلت الباحثين والمفكرين من أجل ذلك فقد حاولت الإسهام فى هذا المجال ، موضحاً فيما يلى منهجى فى البحث ، ومحتوى الموضوع سائلا الله تعالى أن يوفقنى لما يحبه ويرضاه ، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير .

ا . د / محمد على عز العرب السماحى

---

(١) سورة الكهف الآية ١٠

المنهج والمحتوى

١ — بالبحث والدراسة فى الأدلة على وجود الله تعالى المتنوعة والمتعددة التى ذكرتها فى هذا البحث وجدتها لاتخرج عن قول الله تعالى وسنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »(١) وقول الله تعالى : « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا الحق »(٢) ، وقوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »(٣) فهذه الآيات شملت النظر فى الكون كله ثم إن النظر فى هذا الكون لايكون إلا بواسطة الحواس الموصلة إلى العقل دقائق ما فى الكون ، وأن العقل بدوره يقوم بالتأمل فيه بحيث لانرى أى دليل عقلى إلا وقد أخذ زاوية من زوايا الكون فى حسبانه .

فإذا ما أقام العقل الدليل النظرى فقد وضع فى اعتباره البحث والتأمل للظاهرة الدينية على مر التاريخ واتخذ منها دلالة على أصالة وفطرية الإيمان بقوى عليا مهيمنه وماهذا إلا نظرة فى الكون من خلال الواقع التاريخى والبحث فى تكوين الإنسان .

وإذا ما أخذ الإنسان دليل السببية والحدوث فإنه قد وضع فى اعتباره النظر فى الأسباب والمسببات فى الكون من حيث حدوثها وتغيرها وبذلك يكون مرجعه إلى تلك الزاوية فى الكون .

وإذا ما أخذ الإنسان دليل الإمكان فإن العقل قد أخذ زاوية التركيب فى الأجسام وأعرضها واحتياجها إلى مخصص لها .

---

(١) سورة فصلت (٥٣) (٢) سورة الروم (٨)
(٣) سورة الذاريات الآية (٢١)

وإذ ما أخذ الإنسان دليل الوجود من حيث هو وجود فإنه قد لاحظ زاوية وجود الأشياء وعدمها منطلقاً منها إلى إثبات الوجود الواجب .

وإذا ما أخذ الإنسان دليل العناية والإتقان فهو من زاوية النظام البديع والتناسق الثابت فى الكون .

وإذا ما أخذ الإنسان الدليل العلمى على وجود الله فقد نظر إلى زاوية الأبحاث العلمية التى فى المجال الكونى .

ثم خاتمة المطاف فى هذا البحث هو الدليل النقلى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

٢ — أن هذه الأدلة التى سبقت سوف أضعها بعد عرضها فى ضوء القرآن مبيناً أن القرآن الكريم قد تضمنها ودل عليها لكى يعترف ويسلم كل باحث منصف بأن القرآن الكريم لم يعارض العقل بل أرشده وأنار له السبيل .

٣ — أن هذه الأدلة قمت بدراستها وبحثها من كتب العقيدة التراثية والحديثة وكتبتها من خلال صياغتى الخاصة فى الغالب الأعم ، وإن كان هناك بعض النصوص فسوف أشير إليها وفى نهاية البحث سأضمنه المراجع التى إستفدت منها .

٤ — لقد ستفدت كثيراً من الكتب المعاصرة إلا أنى رأيتها وكأنها منفصلة عن التراث فقمت بتعميق هذه الدراسة وأضفت إليها وربطها بأبحاث السابقين الذين عالجوا تلك الأدلة معالجة عميقة ، وأن ما نصوا عليه فى الدراسة المعاصرة داخل فى كيان وإطار السابقين .

ويحتوى هذا الموضوع على مبحثين :

المبحث الأول : أثر العقيدة وأهميتها فى كيان الإنسان .

المبحث الثانى : الأدلة على وجود الله تعالى وتشمل :

١ — الدليل الفطرى .

٢ — دليل السببية والحدوث .

٣ — دليل الإمكان .

٤ — دليل الوجود .

٥ — دليل العناية والاختراع .

٦ — الدليل العلمى .

٧ — الدليل النقلى .

المبحث الأول

أثر العقيدة وأهميتها فى كيان الإنسان

إن للعقيدة أهمية عظيمة وأثر واضح فى كيان الإنسان حيث تسرى فى روحه وتسيطر على وجدانه وتصرفاته ، هذه العقيدة لدى الإنسان لها مفهومان : مفهوم عام يشمل الإنسان من حيث هو إنسان فتعم البشرية جمعاء ، ومفهوم خاص من حيث الإسلام فيخص هذا المفهوم المسلمين وله أثره وأهميته لديهم ومن أجل توضيح أهميه العقيدة إلى كيان الإنسان باللفهوم العام والخاص يقتضيتا أن نوضح هذين المفهومين .

أولا : مفهوم العقيدة بالمعنى العام وأثره :

أن مفهوم العقيدة بالمعنى العام هو ما يعتقده الإنسان إعتقاداً جازماً سواء طابق الواقع أم لا ، وسواء كان صواباً أم خطأ ، صحيحاً أوفاسداً، وهى معتقدات تترسب فى أعماق النفس الإنسانية من خلال الأفكار والتقاليد والملاحظات المشاهدة .

كل تلك المعتقدات لها أثرها الفعال فى كيان البشر فإن كانت صحيحه صلح المجتمع وإن فسدت فسد بفساده .

وجملة القول أن المراد بالعقيدةهنا هو مفهومها العام ولكى تتضح لنا أهمية العقيدة فى حياة الإنسان وكيانه نبرز هذه النقاط الآتية :

١ ــ مكانة الإنسان :

إن للإنسان مكانة عظيمة على جميع المخلوقات على وجه البسيطة ، يقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[1] .

حينما ننظر إلى الواقع نرى أن هذه الأفضلية للإنسان وتكريمه أمراً محققاً ، فالإنسان الكائن الوحيد الذى يتهيأ له الاعتقاد ، فلو قارنا الإنسان بكل المخلوقات فنجد هذه المخلوقات يتمثل أعلاها فى الحيوانات وهذه الحيوانات تسير فى الحياة دون ما عقيدة فتسيرها الغرائز فيأكل الحيوان ، ويشرب ويحقق شهواته بواسطة الغريزة فيندفع تحت الحاجة ويكف عند إشباع الغريزة .

أما الإنسان فهو المخلوق الوحيد على وجه الأرض الذى يعتقد ويختزن المعلومات التى تؤهله لتلك العقيدة فهو صاحب فكر ورويه وإراده حرة وصاحب نطق يعبر عن أفكاره ، وهنا يظهر لنا مدى تفضيل الإنسان على المخلوقات الأخرى وهذا الإنسان بهذه الميزات العظيمة يسمو بها سموا عظيما حينما يتبع هدى الله ، وينحدر إلى الحضيض حينما يتبع هواه يكون أسفل من الحيوان وحق فية قول الله تعالى : « أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا »[2] .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠

(٢) سورة الفرقان الآية ٤٤

٢ — مكونات العقيدة لدى الإنسان :

بعد أن بينا مكانة الإنسان وأنه أهل لأن يعتقد وهنا نتسأل : ما هى مكونات العقيدة لدى الإنسان ؟ نقول إنها تأتيه من مصدرين :

المصدر الأول :

من خلال الواقع التجريبى من الحياة والتجارب اليومية ، فمثلا الإنسان تتولد لديه عقيدة أن النار محرقة إذ ما لمس الإنسان النار ، فأحرقت يده فتولد لديه عقيدة أن النار محرقه فلا يقربها وأيضاً نجد الإنسان الذى يعتريه الظمأ الشديد ووجد أمامه ماء رطباً ذلالا ، فإنه يسرع إلى الارتواء ، فإذا ما علم أن الماء وضع فيه سم فلا يقربه على الرغم من شدة عطشه ، فلو وضعنا هذا الماء لحيوان لشرب منه ومات فى الحال ، ولو شاهده حيوان آخر وعرض عليه نفس الماء فإنه يشربه لعدم إستطاعته الإدراك لأنه ليس أهلا للعقيدة .

المصدر الثانى :

وهو أن تتكرر العقيدة من خلال الأفكار .

قبل أن أشرح هذا المصدر أبنه بأن المراد بالعقيدة هنا هو الاعتقاد بالأفكار سواء كانت صواباً أو خطأ ، وكيف تؤثر فى الإنسان فالعقيدة هنا من مفهومها العام سواء كانت صواباً أم خطأ لأن المراد من هذا الموضوع هو بيان أهميه العقيدة فى كيان الإنسان على أى إعتقاد كانت ، وهذه أمثلة تبين أثر العقيدة بقسميها وكيف تؤثر فى الإنسان أثراً كبيراً وكيف تحرك كيانه كله إيجاباً أو سلباً .

مثال (١) :

إن الإنسان فى الجاهلية كان لديه معتقد يقول بأن البنت مجلبة للفقر وللعار ، فكان هذا الإعتقاد يجعله يتصرف تصرفاً شنيعاً ينبو عنه كل صاحب فكر سليم فهو يلجأ إلى إبنته حينما يبشر بها فيسود وجهه ثم يأخذها على العجل أو التراخى إلى مكان بعيد حيث يواريها التراب دون شفقه ، وهنا نتسأل ، ما الذى حرك هذه الحركة التى إشتملت على كيانه كله وجعلته يرتكب هذا الجرم الشنيع ، إنها العقيدة برغم أنها باطلة وهذا يظهر لنا مدى أهمية العقيدة فى كيان الإنسان برغم أنها باطلة .

يقول الله تعالى « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون »[1] .

مثال (٢) :

هذا المثال هو الوجه الآخر للاعتقاد فى المثال الأول حيث نرى فيه إعتقاداً يمحو الاعتقاد الأول ويبطله على أسس سليمة حيث أن الإسلام وضع إعتقاداً يقول أن الأرزاق بيد الله يرزق من يشاء وليس لذلك علاقة بالمولود من جهة كونه ذكراً أم أنثى ، وأن هذا الاعتقاد يقول أيضاً أن المولود سواء كان ذكراً أو أنثى هو بأمر الله وتقديره وليس للإنسان دخل فى ذلك .

حيث يقول تعالى : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء

(١) سورة النحل الآية ٤٨ و ٥٩

يهب لمن يشاء أناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ويجعل من يشاء عقيما أنه عليم قدير »[1] .

فانظر كيف تغير كيان الإنسان كله من عقيدة جاهلية كانت تدفع الإنسان إلى قتل فلذة كبده إلى إنسان آخر تدفعه عقيدة قويمة أساسها الإيمان بالله الخالق القادر المتصرف فى عباده الذى يجب التسليم المطلق بأنه هو العليم بعباده الرازق لهم .

هذا وهناك أمثلة عديدة فى الإسلام توضح ما ذهبنا إليه كعقيدة عمر بن الخطاب فى الجاهلية بالكفر بما جاء به محمد ﷺ إلى درجة أنهم بقتل رسول الله ﷺ ثم عقيدته بالإيمان بمحمد ﷺ بعد أن أسلم وقاتل الكفار فهنا نجد أن عمر بن الخطاب تحرك كيانه كله وهم بالقتل فى حالتين متقابلتين إحداهما فى الجاهلية دافعها عقيدة فاسدة ، فسادها يتمثل فى عبادة الأوثان لدرجة أنه كان يعبد الصنم من العجوة ثم إذا جاع أكل ، وعقيدة أخرى فى الإسلام دافعها نور الحق واليقين ورفع الإنسان إلى المستوى العقلى السليم اللائق بحقيقة البشر وغير ذلك الكثير مما نلمسه فى أثر العقيدة فى كيان الإنسان .

تعليق :

هنا يبقى سؤال إذ كانت هذه هى العقيدة وأهميتها فى جانب الخطأ والصواب فكيف نميز بين العقيدة الصحيحة وغير الصحيحة .

نقول: إن العقيدة الباطلة علامتها أنها فاسدة لا يقرها العقل السليم ولا الفطرة

(١) سورة الشورى الآية ٤٩ ، ٥٠

النقية فضلا من أنه يحوطها ويكتنفها الضر والأذى . أما العقيدة الصحيحة فيرتاح لها كل قلب سليم وفطره بقية فضلا من أنه يحوطها النفع العام والخير العميم للبشرية .

ثانيا : مفهوم العقيدة بالمعنى الخاص فى ضوء الإسلام وأثرها فى كيان المسلم :

إن مفهوم العقيدة بالمعنى الخاص يتناول ستة أمور هى :

أولا : المعرفة بالله وتعنى المعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والمعرفة بدلائل وجوده ، ومظاهر عظمته سبحانه وتعالى فى الكون كله والوجود جميعه .

وهذه المعرفة من شأنها أن تفجر فى الإنسان المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير فيه ، وترقى عنده ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها ، وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال .

ثانيا : المعرفة بالملائكة التى تحمل قوى الخير فى العالم غير المنظور ، وهذه المعرفة تدعو إلى التشبه بهم فى مواصلة الطاعة لله ، والتعاون معهم على الحق والخير

ثالثاً : المعرفة بكتب الله الذى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر والحلال والحسن والقبح

وهذه المعرفة إنما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الرحمن للانسان كى يصل بالسير عليه إلى الكمال المادى والأدبى

رابعاً : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق إلى الحق :

وهذه المعرفة إنما يقصد بها ترسم خطاهم والتأس بهم والتخلق بأخلاقهم باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس .

خامساً : المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار والمعرفة باليوم الآخر هى أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر ، إذ المؤمنون سيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبهم الله ليقينهم أنهم مسئولون عن القول والفعل والهمس واللمس وسيحذرون من الانغماس ملاذ الدنيا .

سادساً : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير والمعرفة بالقدر تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى العقبات والصعاب وتصغر دونها الأحداث الجسام :

وماعدا ذلك من الأمور العقدية أما داخل تحت هذه الأمور أو متفرع عنها .

وبهذا المفهوم للعقيدة نستطيع أن نوقن بأنها واحدة لاتتبدل بتغير الزمان أو المكان « ولا تتغير بتبديل الأفراد والأقوام ، فهى خالدة على الدهر كما لها من الأثر البين والنفع الظاهر فى حياة الأفراد والجماعات .

أثرها فى كيان المسلم :

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة يراد منها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل العليا ، فضلا عن أنها حقائق ثابتة وهى تعد من أعلى المعارف الإنسانية ، بل هى أعلاها على الإطلاق .

إن هذه العقيده هى الروح لكل فرد ، يحيا بها الحياة الطبيعية وبفقدها

تموت روحه ، وإن كان جسده يتحرك تحركا آلياً ، وصدق ربنا حيث يقول « أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ، ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون »[١] وهى النور الذى يهدى إليه الله من عباده من يعلم عنهم الاستعداد للسير على هداه . قال تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا »[٢] : ويقول سبحانه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »[٣]

والعقيدة أيضاً مصدر العواطف النبيلة ونبت الأحاسيس الشريفة ، فما من فضيلة إلا تصدر عنها ، لذا نجد القرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات بذكر العقيدة فى طليعة أعمال البر كأصل تتفرع عنه وأساس تقوم عليه ، قال تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم إذاعاهدوا . والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا أولئك هم المتقون »[٤]

وبعد أن تأكد لكل ذى لب سليم ومزاج مستقيم أنه لابد عن الدين فى تنظيم حياة الفرد والأمة وأن العقيدة هى جوهر هذا الدين « وأن الأساس للعقيدة هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبعده يأتى الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره

(١،٢) الأنعام ١٢٢ (٣) المائدة ١٥ ، ١٦

(٤) البقرة ١٧٧

نموذج تطبيقى لأهمية العقيدة الإسلامية :

بعد العرض السابق فإن العقيدة الإسلامية حينما تتعمق فى قلب صاحبها ويتمسك بها ويجعلها هدفه الأول والأخير فإنها تؤثر فى كيانه كله وتجعله لايحيد ولا ينحرف عن دين الله ويسير فى الطريق الصحيح.

وهناك أمثلة متعددة لتوضيح ذلك فهذا بلال رضى الله عنه بعد أن سكنت العقيدة قلبه جاءت المغريات والتهديدات فأغراه سيده بالعتق أن هو رجع عن عقيدته فلم يفلح الإغراء فلجأ سيده إلى التهديد فكان يلقيه بطحاء مكة على ظهره فى وقت الظهيرة عند اشتداد الحر ويضع على صدره حجراً كبيراً : ويلهبه بالسياط فلم يزده ذلك إلا تمسكا بعقيدته قائلا قولته المشهورة (أحد أحد) فما الذى حمل بلالاً على هذا التحمل كله ، إنها العقيدة

يقول الله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم »[1]

(١) سورة الأحزاب ٢٢ ، ٢٣

المبحث الثانى

الأدلة على وجود الله تعالى

لقد ذكرنا أركان العقيدة الإسلامية وأثرها فى كيان المسلم ولما كان الركن الأساسى فى العقيدة هو الإيمان بالله ، بل هو الأساس فى الدين كله الذى يقوم عليه كل البناء الدينى وأنه الشغل الشاغل للإنسان فى جميع مجالاته العقدية والفكرية .

فقد رأيت الاهتمام بهذا الجانب العقدى اهتماما أعيش فيه مع البحث العقلى فى إثبات وجود الله لايخرج عما جاء به الإسلام قرآنا وسنة وأن الإسلام لم يهمل العقل بل جاء بالأدلة التى أتعب فيها العقل نفسه : بل عرضها فى نسق معجز يلمسه كل إنسان فى روعة بيان وحسن أداء وهدوء تفكير هذا ونقوه بأن الله تعالى غنى عن الاستدلال عليه وكل مايفعله العلماء ماهو إلا محاولات يعيش الإنسان فى كنفها مسترشدا بهدى الله فيما يصل إليه من أدلة يقرها على وجود الله تعالى ، ويكفى للمتأمل أن يقف على قوله تعالى « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »[1]

وعذرنا فى تلك المحاولات هو قوله تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[2] ونحن من خلال تلك الآية نجد مايسمح لنا من أن نتناول أدلة وجود الله تعالى

(١) سورة فصلت (٢) سورة فصلت

الدليل الفطرى

إن الفطره هى شعور متأصل فى النفس الإنسانية جمعاء مضمونه أن لهذا الكون قوة مهيمنة عليه يشعر بها كل إنسان سليم الفطرة لم تؤثر فيه عوامل الإنحراف البشرى هذه الفطرة ترشد الإنسان بواسطة النظرة البسيطه أو النظرة المتأملة المتأنية أن هناك قوة مهيمنة على الإنسان وعلى الكون من حوله .

هذا الإستعداد الفطرى المودع فى البشر جميعاً وظيفته الأساسية هذا الشعور بوجود تلك القوة ، بيد أن الناس يفسرون هذه القوة حسب استعداد كل منهم فمن خلال الدراسة الواقعية لطبيعة الإنسان ثبت أنه متدين بطبيعته فالأبحاث المستمدة من علوم التاريخ والإجتماع وغيرها ، تثبت أنه متدين وهذا التدين الذى صاحب الإنسان نطلق عليه كلمة فطرة .

هذه الفطرة إذا ما نشأ عليها أسلم وجهه لقوة عليا مهيمنة يشعر بها شعوراً فطرياً ، وبالوصول إلى هذه النقطة نجد سؤلا يطرح نفسه .

ماهى مظاهر هذه الفطرة فى احتياجاتها إلى قوة عليا ، وكيف تتجه الإتجاه السليم وكيف تنحرف ؟

للإجابة على هذا التساؤل :

كل إنسان مهما علا فكره وقوى عقله أو انحطت فطرته وضعفت فطنته يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أسمى من قوته وتشعر كل نفس أنها مسبوقة لتلك القوة العظمى فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها أخرى وقد ذهب كل فى طلبها ، فمنهم من تأولها فى بعض الحيوانات ومنهم من تمثل له فى بعض الكواكب ومنهم من صورها فى أحجار عبدها .

وقد وصل بعض ذوى العقول الراجحة إلى معرفة واهب الوجود غير أنه خفى عليه بعض ما يجب له ولم يكن له من المنزلة ما يحمل قومه على الأخذ بما وصل إليه فبقى الخلاف ذائفاً والرشد ضائعاً بسبب عدم الإهتداء إلى واهب الوجود وجمع الناس حول رب واحد لا يعبد الخلق سواه .

ولعل أوضح مثال شاهد على ذلك من خلال الواقع التاريخى مما علمناه ، من دراسة تاريخ الفراعنة واليونان — فمع تقدم الحضارة المادية فى العصر الفرعونى التى نراها الآن — أقول مع هذا التقدم الفرعونى نجد أن الفكر الإنسانى يوجه فطرته توجيهاً منحرفاً فيضع القوة التى يشعر بها فى إنسان (تأليه الفراعنة) أوفى بعض مظاهر الكون مثل الأنهار والأحجار أو الكواكب ...الخ .

فاذا نظرنا فى الناحية المقابلة وهى التقدم الفكرى فنجده ماثلا عند الأمة اليونانية وأوضح مثال على ذلك الإنتاج الفكرى لأفلاطون وأرسطو ، ومع ذلك تدلنا دراسة هذا الإنتاج الفكرى أن الإنسان وجه فطرته توجيهاً منحرفاً حيث وضع القوة التى يشعر بالحاجة إليها فى صورة فكرية لا تمثل الحقيقة .

وبعد . . .

فلهذه الأسباب مجتمعة والتى تمثلت فى أن الإنسان بطبيعته الفطرية محتاج إلى قوة عليا ، وأن هذه القوة العليا المهيمنة لا يستطيع الإنسان إدراك حقيقتها الكاملة بمفرده .

وهنا نتسأل : ماهو حدود الدليل الفطرى؟

نقول : إن حدود الدليل الفطرى لا يتجاوز إلا الشعور بوجود

القدرة المهيمنة على هذا الكون ، وليس من شأن هذا الدليل أن يدلنا على معرفة وجود الله تعالى ، لأن هناك بوناً شاسعاً بين شعور الإنسان بتلك القوة وبين معرفتها ، لأن الشعور بتلك القوة مودع فى نفس الإنسان ، أما معرفة تلك القوة المعرفة الصحيحة يأتى من خارج عن نطاق الإنسان معرفة يتفضل بها الخالق الكريم على عباده بواسطة الرسل .

الدليل من الواقع المشاهد :

هناك أمثلة واقعية نشاهدها مشاهدة يقينية لاجدال فيها تدل على وجود فطرى فى الإنسان وإليك بعض الأمثلة :

إنسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى رضاع ثدى أمه دون أن يتعلم ذلك من معلم ، ودون أن يدركه بدليل عقلى أو حس ظاهر .

والأمة تشعر بعاطفة الأمومة سواء علمت أن السر فى ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادراً على الإستقلال بنفسه أو لم تعلم .

كما أننا جميعاً مسوقون بإحساس الفطرة والغريزة إلى مطالب عيشنا ، ولو لم ندرك الغرض من وراء هذا الإحساس .

إننا نحس بالجوع فنأكل سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أو لم نعلم ، ونشعر بوجود روح فينا ، فندافع عنها ونحرص على بقائها دون أن نحس بها بإحدى حواسنا الظاهرة وقد لا يستطيع الكثير من الناس أن يقيم البرهان على وجودها وعلى الرغم من ذلك فهو يشعر بها ويعتقد بوجودها .

ثم ألسنا نشعر فى داخلنا بالعواطف والوجدانيات كالحب والبغض والكراهية فما الدليل على وجودها فينا ؟ هل نستطيع أن نقيم عليها دليلا أكثر من أننا نشعر بها ؟ وهى حق ولا شك فيه ،

هذه بعض أمثلة وهناك أمثلة أخرى لا تكاد تستقص ومما لا شك فيه أن هذه الفطرة وهذه الإحساسات العميقة فينا لم توجد عبثاً بل هى الفطرة الصادقة الموافقة للواقع الكونى ، ومهما تقدم العلم فلن يستطيع الغض من أمر هذه الفطرة ، ولن يستطع إهمالها أو الإستعاضة عنها إلا قليلا ، مالم تكن الفطرة فى الإنسان شاذه مريضه والمريض الشاذ يجب علاجه .

من هذه الإحساسات الفطرية الصادقة فينا إحساس الإنسان بوجود الخالق ، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير فى نظامه وإتقانه إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه .

أنه شعور مشترك بين جميع الناس يقوم فى نفس الطفل الصغير والإنسان البدائى والإنسان المتحضر ، والجاهل والعالم .

كل هؤلاء يشعرون بشعور مشترك أن الله حق وأعلانا عن هذه الفطرة القائمة فى الأنفس المدركة .

الدليل الفطرى فى ضوء النقل :

١ — أن القرآن الكريم وردت فيه آيات تدل على الفطرة فى الإسلام ودعم ذلك بالأحاديث النبوية .

فيقول الله تعالى :

وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا[1] .

هذه الآية فيها الإعتراف من الخلق بأن الله ربهم أو هذا إخبار من الله تعالى بتلك الحقيقة التى نطق بها الخلق أجمعون وهى قضية غيبيه يجب الإيمان بها ، ولا ينفيها دعوى بعض الناس الذين يلحون على الحواس بأن تستنهضهم بالدلالة على الغيب ، فهولاء لا يفقهون قضية الإيمان بالغيب لأن قضية الإيمان بالغيب مرتبة على قضية الإيمان بالقضايا الواقعة فى خير المشاهدة .

ولكى نلمس صدق هذه الآية من واقع الدراسة التاريخية والإجتماعية فى حياة الانسان على نحو ما سبقت دراسته .

٢ — يقول الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] :

فهذه الآية تأمر الرسول — ﷺ — وتخاطب من خلال خطابهم للرسول بأن يقيموا وجههم للدين حنيفاً ، والدين الحنيف مرتكزه الأساسى هو التوجه إلى الله .

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢

(٢) سورة الروم الآية (٣٠) .

وهذا التوجه كما أخبرنا القرآن فطرة فطر الله الناس عليها ولا تبديل لها أبداً والواقع الإنسانى يدلك على تلك القضية حيث إن الإنسان مجبول فى فطرته على التفكير والتأمل . ومن جملة هذا التفكير البحث فى قضايا الوجود والتأمل فى تكوينه ومصدره والمجموع الإنسانى يتوجه بوجهه إلى الشعور بتلك القوى المهيمنة والتخصيص بالإنسان فى الآية يخرج بقية المخلوقات على وجه الأرض فإنها ليست فيها تلك الفطرة وهذا واقع مشاهد .

٣ — يقول الرسول — ﷺ — « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه »[1] فهذا الحديث يدل على الفطرة دلالة خاصة وهى الفطرة السليمة النقية ويبين إنحراف الناس عنها بواسطة العوامل البيئية والفكرية التى يفتعلها الإنسان وينحرف بها عن مصدرها الأصيل .

ومن هنا كانت رحمة الله للإنسان فى أن يعرف الحقيقة سليمة مبرأه من الشوائب فكان ذلك عن طريق بعض أفراد الإنسان وهم الرسل والأنبياء .

وبعـــد ...

فإن هناك سؤالا يطرح نفسه : إذا كانت الفطرة بهذا الوضوح ، فلماذا هناك فئة من الناس تنكرها ؟

الإجابة يوضحها لنا القرآن الكريم فى الآية الكريمة « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، فوفرت علينا هذا التعجب ، وهذا يدل على صدق القرآن الكريم كما وضحها فى نقاط أخرى حيث يبين لنا أن منكرى

(١) صحيح مسلم حـ ١٦

الفطـــرة طمست قلوبهم فتوارت وتلاشت عن نفوسهم لأسباب كثيرة ليرضى كل منهم شيئاً فى نفسه فغشى على مرآة فطرته الصافية وشد عصائب الجهل والعناد على حسه المضىء .

وهكذا فقد تظلم مرآة الفطرة فى الإنسان بدخان نار الشهوات وبعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة أو بسحب الشكوك المادية ، فتختفى عنها بعض الحقائق الظاهرة فى الكون .

وصدق الله إذ يقول « إنها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »[1] .

« اللهم أنر بصيرتنا وإهدنا سواء السبيل » .

دليل السببية والحدوث

إن هذا الدليل مبنى على ثلاث قضايا على النحو التالى :

(العالم حادث — كل حادث له سبب — إذن العالم له سبب) هذه القضايا الثلاثة ليست من فراغ بل لها أدلتها من الواقع والعقل ،

القضية الأولى : وهى أن العالم حادث فان كل متأمل ينظر فى هذا الكون يجد فيه المتغيرات اللاحقة فى كل موجوداته على نحو ماسبق .

هذه المتغيرات حدثت بعد عدم ، إذن هى حادثه وليست قديمة ، والعالم يحتوى هذه الحوادث فهو حادث ، أما كون الحادث له سبب فإن العقل يستحيل أن يسلم بحادث دون سبب . فاذا وجدت كتاباً فى موضوع معين فى غاية الكمال فى التأليف والجودة تجمعت حروفه من تلقاء نفسها وانطبعت على مجموعة من الأوراق تجمعت أيضاً بنفسها ثم ضمت بعضها على بعض بهذا الشكل الأنيق لكتاب بنفسها أيضا دون سبب ،

(١) سورة الحج آية ٤٦

فلا يمكن لعاقل أن يصدق ذلك ، فهذا ضرب من الاستحالة إذن كل حادث له سبب .

أما النتيجة وهى أن العالم له سبب فهى حصيلة المسلمتين السابقتين وحيث تم التسليم بهما فلا بد من التسليم بالنتيجة وهى أن العالم له سبب ، وهذا السبب لا يمكن أن يكون من داخل تلك الحوادث فلا بد أن يغايرها بالوصف ، فيكون واجب الوجود هو الله تعالى .

هذا هو المضمون النقلى لذلك الدليل إذ قال صاحب المواقف : إن هذا الدليل لا تحتاج مقدماته إلى استدلال واستثنى من ذلك المعتزلة حيث جعلوها قضايا إستدلالية ولعل استدلال المعتزلة هو من قبيل استدلال الإمام الغزالى على تلك المقدمات استدلالا يقصد به إلا مواجهة من غفلوا عن بديهة وضرورة تلك المقدمات[1] .

ولعل هذا هو ما قصده القاضى الإيجى لأن هذا الدليل يحتاج إلى مؤنات[2] .

ومما يؤكد وضوح هذا الدليل هو أن الرجل العادى بفطرته يدرك ذلك فهذا أعرابى يتجول فى الصحراء فيشاهد أثار الأقدام والبعير فيقول بفطرته : إن السير يدل على المسير والبعر يدل على البعير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج آلا تدل ذلك على الواحد القهار :

ولتمام الموضوع نذكر جوهر الدليل للإمام الغزالى .

« وجوده تعالى تقدس ، برهانه أنا نقول » .

كل حادث فلحدوثه سبب .

(١) انظر الاقتصاد فى الإعتقاد الدعوة الأولى فى القطب الأول تحقيق د/ مصطفى أبو العلا

(٢) انظر شرح المواقف صـ٨ د/ أحمد مهدى

والعالم حادث ، فيلزم منه أن له سبباً .

ونعنى بالعالم ، كل موجود سوى الله تعالى .

ونعنى بكل موجود سوى الله تعالى ، الأجسام كلها وأعراضها .

وشرح ذلك بالتفصيل .

أنا لا نشك فى أصل الوجود .

ثم نعلم أن كل موجود إما متحيزاً أو غير متحيز .

وأن كل متحيز ، إن لم يكن فيه إئتلاف فنسميه جوهراً وفرداً ، وإن إئتلف إلى غيره سميناه جسماً .

وأن غير المتحيز ، إما أن يستدعى وجوده جسماً يقوم به ونسميه العرض أو لا يستدعيه وهو الله سبحانه وتعالى .

* دليل السببية والحدوث فى ضوء النقل :

إن القرآن الكريم أشار إلى هذا الدليل العقلى بآيات بينات واضحات تدل بيسر ووضوح على وجود الله تعالى .

فهذا إبراهيم عليه السلام حارب الإلحاد والشرك فى اتجاهات متعدده فحارب عبادة الأوثان لأنها لا تنفع ولا تضر وحرم عبادة الانسان لأنه لا يملك لنفسه شيئاً .

وحرم عبادة الكواكب وهى محل الشاهد معنا لأنها متغيرة فنظر إلى الكواكب محاجياً قومه أن انظروا إلى الكواكب وقت ظهورها ، فلما أفل ، قال : لا تصلح عبادة الآفلين ، ثم بعد ذلك أمرهم بالنظر إلى القمر فكانت النتيجة أيضاً أنه من الأفلين ، ثم تدرج معهم إلى اكبر الكواكب وهى الشمس — حسب الرؤيا المجردة — فوجدها أيضاً من الأفلين .

والنتيجة أن كل هذه الكواكب فتغيرة حادثة فلا بد لها من سبب وهو جميعها لا يصلح أى واحد منها أن يكون رباً ومن أجل ذلك توجه إبراهيم

إلى فاطر السموات والأرض حنيفاً لأنه الموجود الذى لا يتغير واجب الوجود وانظر بأدب إلى الآيات الكريمة التى تبرز لنا ذلك يقول تعالى : «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما أفلت قال يقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »(١) .

ونضيف آية أخرى فى هذا الصدد — وما أكثر الآيات التى وردت وهى قول الله تعالى : «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً أخر فتبارك الله أحسن الخالقين »(٢) .

فانظر رعاك الله لهذه الآية حيث بدأت بالفعل خلق ثم ختمت باسم الفاعل « خالق » ، وبين البداية والنهاية أطوار محكمة متقنه متغيرة مرتبطة بأسبابها ، حيث يدرك العقل بالبداهة أن هذه المتغيرات الحادثة لا بد لها من سبب مباشر وهو الأب وتتسلسل الأسباب إلى أن نصل إلى المصدر الأول وهو الطين ، ولا يمكن لهذا المصدر الأخير أن يكون سبباً وهذا لا بد له من سبب أخير لتنتهى إليه الأسباب المتصف بالكمال والوجوب وهو الله أحسن الخالقين .

هذه هى بعض من الاشارات القرآنية العظيمة التى أثارت لنا الطريق للوصول إلى معرفة الخالق تعالى عن طريق الأسباب ومسببات .

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٣ ، ١٤

دليل الإمكان والوجوب

ان هذا الدليل يعتمد على نظرة من زاوية معنية هدفها بيان أن كل الموجودات فى الكون لها صورة وطابع مميز من الممكن أن تتخذ صورة أخرى سواء فى الحيز أو الجسم أو المكان أو الصورة فاذا نحن أخذنا نستقصى الموجودات لنأخذ منها أمثلة توضح لنا تلك البديهة فنقول : أن الحيوانات اتخذت اشكالا متعددة زمن الممكن عقلا أن تكون على غير صورتها التى هى عليها و كذلك الانسان فما المانع أن يكون الطويل قصيراً، والعكس ، وأن يكون النطق فى الحيوان بدلا من الانسان ، ولو خصصنا مثلا لذلك فنقول أننا لو طبعنا كتاباً انتهى إلى هيئة معينة وحجم معين من الممكن عقلا أن يكون على صفة وهيئة وقدر على غير ما هو عليه وهنا نتسأل :

من الذى خصص هذا الموجود بهذه الصورة دون غيرها ؟ فلو ادعى انسان بأنها لحكمة فنقول إن الحكمة لا بد لها من حكيمه .

وان أدعى أنها وجدت بلا مخصص فهذه دعوى باطلة لأن الدعوى بالتخصيص دون مخصص تساوى الترجيح بلا مرجح وهو باطل ، فلا بد اذن من مخصص يخصص الممكن ببعض صورة دون الأخرى وحيث أن الكون لمجموعه وبجزئياته اتخذا شكالا وصوراً من الجائز أن يتخذ غيرها ، اذن هو ممكن يحتاج إلى مخصص يخصصه .

وهنا نتسأل : ما نوع هذا المخصص ؟

هل هو من جنس الكون فيكون ممكناً فيحتاج هو الآخر إلى مخصص يتسلسل الأمر ، والتسلس باطل أو ينتهى إلى مخصص سابق فيكون دور وهذا باطل، اذن يجب أن يكون واجباً ، لأن الواجب لا يقبل التخصيص وهو واجب الوجود سبحانه وتعالى .

وهذا ما أشار إليه القاضى الإيجى فى المسلك الأول مستدلا بإمكان الأعراض حيث يقول : « الاستدلال (بإمكان الأعراض) مقيسة إلى محالها .

كما استدل به موسى عليه السلام حيث قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى[1]، أى أعطى صورته الخاصة وشكله المعين المطابقين للحكمة والمنفعة المنوطة به (وهو أن الأجسام متماثلة) متفقة الحقيقة : لتركبها من الجواهر المتجانسة على ما عرفت (فاختصاص كل) من الأجسام (بما له من الصفات جائز) فلا بد فى التخصيص من مخصص له) .

(نقول : مدبر العالم . إن كان واجب الوجود) فهو المطلوب وإلا كان ممكناً ، فله مؤثر ويعود الكلام فيه ، ويلزم . إما الدور أو التسلسل إما الانتهاء إلى مؤثر واجب الوجود لذاته .

والأول بقسميه باطل ، لما مر) فى مرصد العلة والمعلول من الأمور العامة (فتعين الثانى : وهو المطلوب)[2].

دليل الإمكان والوجوب فى ضوء النقل :

يقول تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا »[3] .

فهذه الآية توضح لنا أن الظل من الممكن أن يتخذ صوراً متعددة فيمكن أن يكون ممتداً ، ويمكن أن يكون ساكناً فمن الذى خصه بصورة الامتداد دون السكون ؟

(١) سورة طه : الآية : ٥٠

(٢) شرح المواقف تحقيق د / أحمد المهدى ص ٧ .

(٣) سورة الفرقان (٤٥)

فلا بد من مخصص وهو الله تعالى الذى لفت نظرنا إلى أنه بقدرته لو شاء أن يجعله ساكناً وحتى لا ينطبع فى ذهن المشاهد لطول النظر إلى الامتداد . أن الامتداد طبيعة للظل فيوقظ الله انتباهنا أنه لو شاء جعله ساكناً ، ويقول تعالى « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء[1] ؟ أفلا تسمعون قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون »[2] .

فهذه الآية تلفت نظرنا إلى صور متعددة لليل والنهار فبقدرته أن يجعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة ، دون نهار ، وهذه صورة وبقدرته أن يجعل النهار سرمداً إلى يوم القيامة ، وتلك صورة ثانية ، وبقدرته أن يجعل النهار والليل متعاقبين ، فتلك صور ثلاث يمكن أن يتخذ الله واحدة منها وهذا دليل على أن كل واحد منها ممكن لكن الله تعالى خصص واحدة من تلك الصور وهى تعاقب الليل والنهار ، ولكن لماذا ؟

رحمة بالإنسان لأنه هو الرءوف الرحيم ، لكى يشكر الإنسان ربه على تلك النعمة .

لذلك جاء القرآن الكريم بعد اختيار تلك الصورة الملائمة للإنسان بقوله تعالى : «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[3] .

وأيضاً قوله تعالى : « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين[4] .

فقد آنس الإنسان وجود الماء وظن أنها صورة واحدة فلفت الله

(١) سورة القصص الآية (٧١) . (٢) سورة القصص (٧٢) .
(٣) سورة القصص (٧٣) . (٤) سورة تبارك آية ٣٠

نظره إلى أن تلك هى إحدى الصور ولو شاء لجعل الماء غوراً وتلك صورة أخرى .

إذن وجود الماء المعين صورة خصنا الله بها رحمة منا ، وإلا فمن الذى يأتينا بالماء المعين إذا أصبح غوراً . فسبحان المخصص الحكيم ، ونختم هذه الآيات بقول الله تعالى : « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك »[1] .

هذه الآية الكريمة توقظ الغافلين الملحدين المغترين بملهيات الحياة بأنه يجب عليهم أن يتأملوا فى خلقتهم على الصورة التى هم عليها فهى صورة قويمة بما اشتملت عليه من دقائق التركيب وحكمته وغايته .

هذه الصورة العظيمة كان من الجائز أن تكون على غير ما هى عليه إذن هناك مخصص حكيم ! خص هذه الصورة القويمة على غيرها وهذا يكفى لكل عاقل أن يدرك هذه البديهة التى تلزم العقل بأن كل موجود خص بصورة كان من الجائز أن يأخذ غيرها بأن وراءها مخصصاً يجب الإيمان به .

فعلام إذن الاغترار أيها الإنسان بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فى أى صورة ما شاء ركبك ؟ سبحان الله !

دليل الوجود

لا يشك عاقل من خلال التفكير فى نفسه ومن خلال المشاهدة لما يحيط به من أن هناك موجوداً وهذا الموجود مركب ومتغير والتركيب والتغير لابد لهما من مركب ومغير لما تفرضه بديهية التضايف بين التركيب والمركب والتغير والمغير فيحتاج هذا الموجود إلى موجد يوجده .

(١) سورة الانفطار الآيات (٦ ، ٧ ، ٨)

إلى هنا ويقفز إلى الذهن أن هذا الموجود يقابله العدم ، ضرورة التلازم العقلى بين الوجود والعدم .

ونقول حينئذ أن الوجود من حيث هو وجود يقابله العدم ، ولا يمكن عقلا أن يجتمع الوجود والعدم من حيث الوجوب أو لا يكون وجود ولا عدم فلا بد من أحدهما .

ملاحظة :

المراد من الوجود وهو الوجود العام ومن العدم العدم العام وليس المقصود هو الوجود والعدم المتوارد على المشاهدات .

وحينئذ نجد سؤالا يطرح نفسه : أيهما الواجب الوجود أم العدم ؟

فنقول إجابتنا على هذا التساؤل مستخدمين طريقة السبر والتقسيم .

— العدم إما هو الواجب وإما الوجود هو الواجب .

وبناء على التلازم العقلى بينها فإن نفى أحدهما يثبت الآخر والعكس ،

ولنفترض أن العدم هو الواجب وحينئذ فلا وجود أصلا ، ولننظر فى هذا الافتراض هل هو صحيح أم لا ؟

نفترض أن العدم العام هو الواجب ، لا وجود قبله ، وأن الوجود هو الطارىء ومعنى ذلك أن الكون وما فيه طرأ من العدم وهنا نتساءل : أليست هذه الموجودات الكونية فيها قوة وسمع وبصر وإدراك ، وهذه الأشياء العظيمة كلها على سبيل الفرض الذى معنا أنها وجدت من العدم ، ثم نتسأل عن هذا العدم المحض الذى لا يتصف بقوة ولا سمع ، ولا يبصر ، كيف يوجد من له سمع وبصر وإدراك ... إلخ .

فهل مستحيلا عقلا .

وإذا ثبت أن العدم يستحيل أن يكون واجبا فثبت نقيضه وهو أن الوجود هو الواجب ، وهذه المحاورة العقلية التى استنفدنا فيها الجهد قد جاء بها القرآن الكريم واضحة جلية عذبة مهذبة فى عبارة بالغة وهى قوله تعالى : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون »[1] .

فهذه الآية تقول لنا متحدية العقل البشرى أن الإنسان لم يخلقه العدم ، وذلك من خلال قوله تعالى « أم خلقوا من غير شىء » .

والثانى أنه يستحيل أن يخلق الإنسان نفسه وذلك من خلال قوله تعالى : « أم هم الخالقون » .

وهذه الأمور من البديهات عند كل ذى عقل ، فلم يبق إلا أنهم موجودون بقوة الوجود الواجب وهو الله تعالى ويبقى لنا تساؤل نجهز به على المتسائلين المتنطعين وهو من الذى أوجد الله ؟

فنقول من خلال هذا الدليل السابق أنه قد ثبت لنا عقلا أن الوجود هو الواجب ، فإذا أوجده موجود فلا يكون واجبا والمفروض أنه واجب إذ لا معنى لهذا السؤال ولا يصح أن يرد .

صفات هذا الوجود :

فقد ثبت لدينا أن هناك وجوداً هو واجب وهذا الوجود له صفات يتحقق بها أنه هو واجب ومن تلك الصفات أنه أذلى أبدى أما كونه أزلى فإن ما ثبت أنه الواجب يستحيل أن يسبقه العدم وإلا لما كان واجبا فثبت

(١) سورة الطور آية ٣٥

أنه أزلى ، أما كونه أبدى بمعنى أنه لا يطرأ عليه العدم فإنه يستحيل أن يطرأ عليه العدم لأن الشأن فيه أنه واجب فلا يعقل أن يطرأ عليه العدم ، لأنه يتنافى مع كونه أنه واجب ومهما افترضنا افتراض طرق العدم عليه، فهذا افتراض باطل وسيظل باطلا لأن الشأن فيه أنه واجب فلا يقبل الطرق أصلا ، وإذا اشتبه علنا بعض الموجودات المتسمة بالاستمرار فإن فيها ما يدعوها إلى الانتهاء فهى منتظرة لحظة الانتهاء وقد أثبت العلم الحديث أن تلك الموجودات ستفنى وتنتهى .

مثال توضيحى :

فمثلا هناك أجيال متعددة من البشر تحيا وتنتهى مع وجود واستمرار الشمس ، فهذه الاستمرارية تنتظر لحظة فنائها مهما طال بها الاستمرار لأنه وجود غير واجب .

أما الوجود الذى معنا فهو وجود واجب لا يطرأ عليه العدم .

الصفات فى ضوء النقل :

إن هـــذه الصفات قد أشار إليها القرآن الكريم ووصفها بقوله تعالى : « هو الأول والآخر »[1] وقوله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت »[2] .

وأقول بهذه المناسبة أن لله تعالى صفاتاً تليق بذاته تعالى إجلالا ، وكمالا ولا يستطيع البشر أن يحيط بها وقد جاء الشرع الكريم بتوضيح صفاته تعالى وأسمائه توضيحاً لا يمكن للبشر أن يصل إليه بإدراكه المحدود

(١) سورة الحديد الآية ٣ (٢) سورة الفرقان الآية ٩

وهذه مهمة الرسل وهذا لا يمنع أن يصل الإنسان بعقله إلى بعض الصفات التى لا يدركها الإنسان على قدر إستطاعته مثل الأزلية والأبدية التى يقتضيها مقام الاستـــدلال ليفرق بها بين الوجود الذى هو واجب وبين الوجود الطارىء .

الوجود الكونى عدمى :

إن هذا الوجود الكونى الذى نشاهده ليس وجوداً واجبا بل هو وجود سبقه العدم .

فإذا ألقينا نظرة متأنية من خلال هذا الإنسان المميز العاقل الذى قال الله فى شأنه « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »[1] .

هذا الإنسان القويم من جملة الموجودات وبنظرة منه على نفسه وعلى الموجودات مهما كبرت أو صغرت فإنه يعتريها جميعاً التغيرات المتلاحقة من وجود كان فى طى النسيان ، ثم يصير إلى العدم .

فمن إشراق وغروب وليل ونهار يتعاقبان ، ومن تغيرات فى الأشكال والصور إلى تغيرات فى الصفات والقوى . هذه الأمور كلها تدل على أسباب ومسببات . وتلك جميعها تدل على أن أصلها العدم لأنها وجدت بعد أن لم تكن ثم صارت إلى العدم .

فهى بجملتها أصلها العدم فمن الموجد لها ؟ .

(١) سورة التين الآية ٤

من الموجد لهذا الكون :

لقد ثبت لنا أن الكون بمجموعه أصله عدمى ، ومن حيث هو مجموع فلا بد له من علة لإحتياج بعضه إلى بعض ولا يمكن أن تكون هذه العلة هى نفس المجموع ولا جزء هذا المجموع . إذن بطل أن تكون علة هذا الكون من داخله فلا بد أن تكون خارجة عنه وهذا الخارج هو الوجود الواجب الذى أثبتناه وهو الله تعالى .

ولعلنا فى هذا الدليل كنا نعيش فى رحابة دليل صاحب التلويحات[1] . الذى أبطل فيه أن تكون علة وجود العالم من داخله لما يترتب على ذلك من استحالات أجاد عرضها إجادة تامة صاحب التلويحات .

لذلك آثرت أن أستشهد فى هذا المقام وبهذا الدليل هو : دأنه لاشك فى وجود ممكن : كالمركبات ، فإن استند إلى الواجب ابتداء ، وانتهى إليه ، فذلك ، وإن تسلسلت الممكنات قلنا : (جميع الممكنات) المتسلسلة إلى غير النهاية (من حيث جميع ممكن ، لاحتياجه إلى أجزائه التى هى غيره ، فله علة) موجدة ترجح وجوده على عدمه ؛ لما عرفت من أن الإمكان محوج . (وهى لا تكون نفس ذلك المجموع ، إذ العلة متقدمة على المعلول ، ويمتنع تقدم الشىء على نفسه) ولا جميع أجزائه ، لأنه عينه (ولا تكون) أيضاً (جزء) أى بعض أجزائه ؛ (إذ علة الكل علة لكل جزء) ،

(١) هو شهاب الدين يحيى السهروردى المقتول سنة ٥٨٧ هـ ، رتب التلويحات على ثلاث علوم — المنطق الطبيعى والإلهى راجع ص ٤٨٢ من الجزء الأول فى كشف الظنون لحاجى خليفة .

وذلك لأن كل جزء ممكن محتاج إلى علة ، فلو لم تكن علة لكل واحد من الأجزاء ، لكان بعضها معللا بعلة أخرى ؛ فلا تكون تلك الأولى علة للمجموع ؛ بل لبعضه فقط . وحينئذ (فيلزم أن يكون) الجزء الذى هو (علة المجموع ؛ علة لنفسه ولعلله) أيضاً .

وإن لم تكن علة المجموع نفسه ، ولا أمراً داخلا منه ؛ (فإذن هو أمر خارج عنه ، والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته ؛ وهو المطلوب) ولابد أن يستند إليه شىء من تلك الممكنات ابتداء فنتهى به السلسلة[1] .

دليل العناية والإختراع

إن هذا الدليل إعتنى به ابن رشد عناية كبيرة لدرجة أنه فضله على جميع أدلة المتكلمين العقلية والتى هاجمها ولم يستبق إلا دليل العناية والاختراع ومبناه عنده أن (العناية) هى أن يسجد لله كل ما فى الكون موافق المنفعه للإنسان ورعايته وهذه العناية تحمل الإنسان على أن يتدبر فى تلك العناية بحيث يعلم أنها ليست من قبيل التوافق بل ورائها موجد هيأها على هذا النمط من العناية .

أما (الاختراع) فمبناه عنده أنه يقوم على اساسين :

الأول : النظرة إلى الموجود من حيث خلقه وهذا يدركه كل إنسان فى الموجودات مثل : الذباب ، الجمل ، مصداقاً لقوله الله تعالى :

(١) شرح المواقف فى علم الكلام للسيد الشريف على بن محمد الجرجانى تحقيق د / أحمد المهدى ص ٩٢٨ مكتبة الأزهر .

« إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا له »[1].

وقوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »[2] وكذلك الشأن فى كل الموجودات .

— أما الأساس الثانى :

فإن كل مخترع لابد له من مخترع هذا الدليل كما يرى ابن رشد كما جاء القرآن الكريم هو أفضل الأدلة لما يستوى فيه العالم والعامى ، ويضرب ذلك مثلا بالمصنوع حيث ينظر إليه كل من العالم والعامى . أما العالم فيتعلم الصنعة لدقتها وتفصيلها ويعلم أن لها صانع وهو دليل عن علم ونظر .

أما العامى فيعترف بأن هذا المصنوع لابد له من صانع على الرغم من عدم معرفته التفاصيل ودقة المصنوع ثم يوضح موقف الدهرى الملحد بأنه يرى المصنوع ويغفل عن صانعه ويتوهم أنه وجد إتفاقاً[3] .

تعليق :

هذا هو دليل العناية والإختراع عند ابن رشد حيث حصره فى وجهة معينة هو تسخير الكون للإنسان وأن كل ما فيه مخترع فله خالق سخره واخترعه .

ونحن نرى كما قلت سابقاً أن دليل العناية والاختراع هو زاوية من زوايا النظر إلى الكون حيث أن العقل ينظر إلى الكون من زوايا

(١) سورة الحج الآية (٧٣) (٢) سورة الغاشية الآية (١٧)
(٣) مناهج الأدلة تقديم وتحقيق د/ محمود قاسم « الانجلو » ص ١٥٠ — ١٥٤ .

متعددة بحيث تشمل جميع الأدلة على نحو ما بينت فيما سبق وعلى هذا فلا أوافق ابن رشد فى قوله تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » عند لفت النظر إلى الخلق والاختراع فهناك نظره أخرى وهى (التخصيص) لهذا الخلق بكيفيه معينة تدل على أن هذا المخلوق ممكن من حيث أنه أخذ صورة معينة (الجمل) من الممكن والجائز عقلا أن يأخذ غيرها وإلا لما لفت الله نظرنا إلى هذه الهيئة التى تحفظ العقل وتنبه أن وراء تخصيص تلك الهيئة مخصص حكيم خصصها . من أجل ذلك فليتأمل المفكر كلمة « كيف » فى الآية — وأيضا فبينما نرى ابن رشد يصب اهتمامه — فى دليل إبراهيم عليه السلام حينما نظر إلى الكواكب — على قول إبراهيم (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ، بحيث جعل الإنفطار وهو الخلق أى (الاختراع) هو أساس الدليل ، أقول فبينما يرى ابن رشد هذه النظرة فإنه يمكن لنا أن نلقى نظرة أخرى وهى أن استدلال إبراهيم عليه السلام ملحوظ فيه التغير والحدوث اللذين إنبنى عليهما توجيه إبراهيم وجهه للخالق المفطر وهكذا فى بقية الاستدلات الأخرى .

ملحوظة :

هذا ويمكن لنا أن نسمى هذا الدليل (العناية والإتقان) لأن الاختراع من قبل الله ، لا يكون إلا متقناً فلا توجد ذرة فى الكون إلا وفيها اتقان ، عجيب فى تركيبها حسبما إكتشف العلم الحديث وهذا مصدقاً لقول الله تعالى : « صنع الله الذى أتقن كل شىء »[1] .

(١) سورة النمل الآية (٨٨) .

دليل العناية والاختراع فى ضوء النقل :

لقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشير إلى هذا الدليل وهى على ثلاثة أقسام :

— قسم يدل على العناية فقط .

— قسم يدل على الاختراع والإتقان فقط .

— وقسم يدل عليهما معاً .

« فالآيات التى تتضمن دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » إلى قوله « وجنات ألفافاً »[1] ومثل قوله (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً »[2] ومثل قوله تعالى « فلينظر الإنسان إلى طعامه »[3] الآية . ومثل هذا كثير فى القرآن .

وأما الآيات التى تتضمن دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى : فلينظر الإنسان من خلق ، خلق من ماء دافق »[4] ومثل قوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »[5] الآية ومثل قوله تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له[6] . ومن هذا قوله تعالى ، حكاية عن قول إبراهيم « إنى وجهت وجهى الذى فطر السموات والأرض »[7] إلى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى .

(١) سورة النبأ (٦ — ١٦)
(٢) الفرقان (٦١)
(٣) سورة عبسى (٢٤)
(٤) سورة الطارق الآية (٥، ٦)
(٥) سورة الفاشية (١٧)
(٦) سورة الحج (٧٣)
(٧) سورة الأنعام .

وأما الآيات التى تجمع الدلالتين فهى كثيرة أيضاً ؛ بل هى الأكثر ، مثل قوله تعالى : « يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، إلى قوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون »[1] فإن قوله : « الذى خلقكم والذين من قبلكم » تنبه على دلالة الاختراع ، وقوله : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء » تنبه على دلالة العناية ، ومثل هذا قوله تعالى : « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون »[2] وقوله تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »[3] .

وأكثر الآيات الواردة فى هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة فهذا الطريق هو الطريق المستقيم الذى دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده[4] .

الدليل العلمى

لقد اهتم العلماء باختلاف أنواعهم بقضية أدلة وجود الله تعالى سواء كانوا فلاسفة أو متكلمين أو مفسرين أو طبيعين أو قد تميز كل طائفة من العلماء بمسمى مشتق من أسمائهم يقال : مثلا أدلة الفلاسفة ، أدلة المتكلمين وهكذا ... ، وقد اختص مسمى [الدليل العلمى] لطائفة من العلماء بحثوا فى العالم الطبيعى تميزاً بينهم وبين المسميات الأخرى .

(١) سورة البقرة (٢٢)
(٢) سورة يس (٣٣)
(٣) سورة آل عمران آية (١١٩) .
(٤) مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ١٥٣ تحقيق د / محمود قاسم .

وهكذا الدليل يقوم على أساسين :

أولا : أقوال هؤلاء العلماء للإستدلال على وجود الله تعالى .

ثانياً : الإكتشافات العلمية للموجودات وما فيها من عجائب ودقة تدل على أن لها صانعاً حكيماً .

أولها : لقد كتبت مؤلفات كثيرة فى هذا الشأن كبار العلماء من جملتها كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) لطائفة من كبار العلماء الأمريكيين نقتطف منه بعض النماذج لتدلنا على أن البحث فى الطبيعة يؤدى للإيمان بالله ويرد على الملحدين الذين إتخذوا من دراسة الطبيعة سنداً لإلحادهم :

١ — جاء فى المقالة الأولى من الكتاب تحت عنوان (نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد ؟ كتبها « فرانك ألن » عالم الطبيعة البيولوجية :

إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجود نشأته ؟

هناك إحتمالات أربعة للإجابة على هذا السؤال :

(أ) فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما سلمنا به من أنه موجود .

(ب) إما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم وهذا مرفوض بداهة .

(ج) وإما أن يكون هذا الكون أزلى الوجود ليس لنشأته بداية وهذا الاحتمال يساوى ما يقوله المؤمنون بالله بالنسبة لأزلية الخالق ، ولكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معنية ، فهو إذن حدث من الأحداث ، ولا يمكن إحالة وجود هذا الحدث المنظم البديع إلى المصادفة عقلا ، ولذلك فإن هذا الإحتمال باطل أيضاً .

(د) وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلى أبدعه ، وهو الاحتمال الذى تقبله العقول دون إعتراض ، وليس يرد على إثبات هذا الاحتمال ما يبطله عقلا فوجب الاعتماد عليه .

٢ — جاء فى المقالة الثانية من الكتاب تحت عنوان (إختبار شامل) كتبها « روبرت موريس بيدج » عالم الطبيعة ، أول من إكتشف الرادار فى العالم سنة ١٩٣٤ م .

وجدنا أناساً موهوبين يحدثوننا عن الغيب يقولون : أنهم رسل الله وما حدثونا به قسمان :

(أ) قسم يقولون فيه أن لهذا الكون خالقاً واحداً يجب الإيمان به .

(ب) قسم يخبروننا فيه عن بعض الأمور بالغيب التى ستحدث . أما القسم الثانى فقد وقع كما أخبرونا به بعد مئات السنين وأيدت الأيام وأثبت التاريخ صدق هذه النبوءات جميعها وهى من الأشياء التى عجزت العلوم حتى اليوم عن أن تجد لها تفسيراً ، فدل على صحة رسالتهم وصدق أخبارهم ووجب أن نصدقهم فيما أخبرونا عن الله تعالى وصفاته وهو القسم الأول لأن عقولنا لا تقبله منهم ، بل عندنا من الشعور الداخلى ما يثبته ،

ثم قال : أن الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصة التى تنبت من شعور الإنسان وضميره وتنمو فى دائرة خبرته الشخصية .

٣ — جاء فى المقالة الثالثة من الكتاب تحت عنوان (درس من شجر الورد) كتبها « ماريت ستانلى كدنجدن) عالم طبيعى وفيلسوف عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية جاء فيها ما خلاصته .

(أ) إن كثيراً من الأمور التى نسلم بها إنما نعتمد فيها على الاستدلال المنطقى .

ومن أمثلة ذلك كثير من إستنتاجاتنا اليومية فى حياتنا العادية ، العلوم الفلكيه التى ليس بيننا وبينها إتصال مادى مباشر بحوث الذرة واستخدام قوانين الكتلة والطاقة فى استنباط صفات الذرة وتركيبها وخواصها مع العلم بأن العلماء لم يروا الذرة حتى الآن بطريقة مباشرة وقد أيدت القنبلة الذرية الأولى ما وصل إليه العلماء من قوانين ونظريات حول الذرة ووظائفها .

ومن أمثلة ذلك .

وجود الله فإننا نستطيع أن نصل إلى معرفته عن طريق الاستدلال المنطقى الذى يقوم على تفسير النتائج بنظائرها أو مثيلاتها .

(ب) برغم أن العلوم لا تؤيد وجود عالم غير مادى تأييداً كاملا ، لأن الدائرة التى تعمل فيها تقع فى حدود المادة ، فانها لا تستطيع أن تنفى بصورة قاطعة وجود عوالم أخرى غير مادية وراء العالم المادى ،

(ج) نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه فى عالم يفيض بالأمور العقليه أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة تسير هذا الكون وتدبر أمره وختم مقاله بما يلى :

« إن جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فاننا لا نفعل أكثر من ملاحظة أثار أيادى الله وعظمته ، ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل إليه بالرسائل العلمية المادية وحدها ولكننا نرى آياته فى أنفسنا وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته »[1] .

(١) انظر كتاب الله يتجلى فى عصر العلم لمجموعة من العلماء الأمريكيين .

ثانيا :

لقد وردت مؤلفات كثيرة فى هذا الشأن نذكر بعضا منها .

« إن جزءا من أذن الإنسان (الأذن الوسطى) هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حنيه (قوس) دقيقه معقدة، متدرجة بنظام بالغ ، فى الحجم والشكل ، ويمكن القول بأن هذه الحنيات تشبه آلة موسيقية ويبدو أنها معدة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ . بشكل ما ، كل وقع صوت أو ضجة، من قصف الرعد إلى حفيف الشجر ، فضلا عن المزيج الرائع من أنغام كل آداة موسيقية فى الأركسترا ووحدتها المنسجمة[1] .

ومركز حاسة الأبصار فى العين التى تحتوى على مائة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضوء وهى أطراف الأعصاب ، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذى يقيها ليلا ونهار ، والذى تعتبر حركته لا إراديه ، الذى يمنع عنها الأتربة والذرات والأجسام الغريبة، كما يكسر من حدة الشمس بما تلقى الأهداب على العين من ظلال ، كما أنها تمنع جفاف العين»[2] .

الدليل العلمى فى ضوء النقل :

إن موقف الإسلام من الدليل العلمى يتحقق من خلال بيان موقف الإسلام من العلماء وأن الإسلام لا يتعارض مع العلم ، وأن القرآن الكريم جاء بإشارات علمية كثيرة تدل على جانب من وجوه الإعجاز القرآنى.

(١) من كتاب العلم يدعو إلى الإيمان .
(٢) عن كتاب الله والعلم الحديث : عبد الرازق نوفل .

أولا : موقف الإسلام من العلماء :

إن الإسلام يجعل للعلماء أياً كان نوعهم ، المكانة السامية المرموقة ويجعلهم فى مصاف أهل الشهادة فيقول تعالى، « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط(١).

فهذه الآية جعلت العلماء ممن يشهدون ألا إله إلا الله وذلك عندما يصفو علمهم ويكون علما موضوعيا مبرأ عن هوى النفس والمؤثرات الاجتماعية ، ومن أجل ذلك نجد أن الله تعالى يحصر الخشية فيهم حيث يقول «إنما يخشى الله من عباده العلماء»(٢).

ويقول الله تعالى رفعاً لمكانتهم :

«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»(٣).

ثم إن الإسلام يحذر العالم من الاسفاف بالوقوف على أشياء لا تفيده ويحذره بأن كل وسائله الحسية تحت مراقبة الله تعالى فيقول سبحانه وتعالى ، « ولا تقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا»(٤).

وأخيرا يحذرنا الله سبحانه وتعالى من فئة ضالة تدعى العلم وهم ليسوا بعلماء حيث يتخذون من مظاهر الحياة علما لدراستهم فهؤلاء جهلاء وهم لا يفقهون ، فيقول الله فى حقهم « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون»(٥).

(١) سورة آل عمران الآية ١٨ (٢) سورة فاطر آية ٣
(٣) سورة المجادلة ١١ (٤) سورة الأسراء الآية ٣٦
(٥) سورة الروم آية ٧

لذلك يتضح لنا مدى احترام الإسلام للعلماء والعلم .

ثانيا : عدم تعارض العلم مع الإسلام :

إن كل ماجاء به الإسلام حقائق ثابتة ، وأن للموجودات الكونية حقائق لايمكن تعارض الحق مع الحق.

فالاسلام يتفق تماما مع ماجاء به العلم عندما يصل إلى الحقيقة الثابتة للظاهرة الكونية وإن كان يظهر أحيانا تعارض . فليس مرجعه إلى الإسلام ولا إلى الحقيقة الكونية وإنما مرجعه لعاملين.

العامل الأول :

تعجل الباحثين فى المجال العلمى إعلان نتائجهم أو إعلان بعض المقولات قبل أن يستوى البحث ويتم الوصول فيه إلى تمام الحقيقة حينئذ قد يحدث التعارض . لهذا التعجل أو الإدعاءات العريضة ، وهناك أمثلة متعددة على هذا التعجل المصحوب بمعتقدات إلحادية طغت على الباحث .

فمثلا أول رائد فى الفضاء وكان يدعى « جاجرين » حينما صعد إلى الفضاء بمركبته وهبط بها ، أدعى باسم العلم أن الله غير موجود وحيث لم يره فى الفضاء الخارجى وكأن تلك حقيقة وهذا ادعاء لا يتسم بالعلم ولا الموضوعية ، فالإسلام مثلا وهو ممن ينسحب عليه هذا الإدعاء .

أنه لم يعلن أن الله موجود فوق الغلاف الجوى بحيث يدركه الإنسان إذن ليس هناك حقيقة أثبتها الإسلام وحطمها جاجرين.

وأيضا : هناك بعض الباحثين فى عالم الأجنة حيث غرتهم الإكتشافات الحديثة بمعرفة نوع الجنين فى الرحم فانطلقوا من الإكتشاف بدعوى أن العلم شارك الإله فى علم مافى الأرحام الذى أعلن الإسلام إختصاصه

بالله وذلك يصبح التعارض ونقول لهؤلاء : ليس هناك تعارض والآية باقية على اختصاص الله بعلم مافى الأجنة علما شاملا . حيث توضح الآية أن الله يعلم مافى الأرحام دون تخصيص بمعلوم معين ، بل هو علم شامل يشمل معرفة الذكورة والأنوثة قبل أن تستقر فى الرحم وهى مائية كما يعلم كل شيء عن هذا المخلوق من رزقه وأجله وشقيه أم سعيد ... الخ ، وهذا ما أخبرتنا به السنة توضيحا لبعض المجالات التى صرحت لنا بها الأحاديث فضلا عن المجالات التى لا تعلمها .

هذا وليس فى القرآن مايشير على أن الإنسان لا يمكن أن يعرف نوع الجنين ذكرا أو أنثى . وهكذا فلا تعارض بين الإسلام والبحث العلمى . وعلى كل باحث أن يتريث قبل أن يعلن حكمه.

العامل الثانى :

أن التعارض قد يكون مصدره خطأ إجتهاد بعض العلماء فى التفسير ، فنحن نعلم أن الإسلام حث المسلمين على الإجتهاد بشرطة وأن من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر .

وهذا الاجتهاد من الإسلام للمسلمين لكى لا تتوقف مسيرة الحياة بل على المسلمين أن يجتهدوا ويبذلوا أقصى جهدهم ولا عليهم بعد ذلك من إن كان صوابا فيستمروا وإن كان خطأ يوجه إلى الصواب وهكذا

فإذن قد يكون التعارض مرجعه هذا الخطأ ويكون مصدره المجتهد وليس الإسلام نفسه .

ثالثا : الإشارات العلمية فى القرآن :

وقد جاء القرآن الكريم بإشارات علمية كثيرة فقد صنف كثير من العلماء فيها وقد أيد بعض العلماء هذا الاتجاه وقد عارضه بعضهم بسبب تغير النظريات العلمية ويريد أصحاب هذا الاتجاه أن يحفظوا النصوص القرآنية عن هذه الإختلافات فى النظريات العلمية بحيث لاتدور معهم .

وعندى أن الصواب هو ربط الإشارة العلمية فى القرآن الكريم بالأبحاث العلمية حينما تستقر بها النظرية .

الدليل النقلى

بعد أن عرضنا الأدلة العقلية المتنوعة فى ضوء القرآن الكريم وأن القرآن الكريم قد احتواها ، فنحن هنا نفرد كلمة على الدليل القرآنى أن القرآن الكريم يتميز فى مخاطبة الإنسان بأن راعى فيه الجانب العقلى والجانب الوجدانى بحيث يشعر الإنسان المتعمق فى القرآن الكريم بإخلاص وموضوعية : بأن يأخذ بيده فى عبارة سلسلة معجزة بأن لهذا الكون خالقا عظيما .

هذا وأن الدليل القرآنى يحتاج إلى موضوع بذاته يذكر فيه جميع الأدلة التى أشارت إلى وجود الله تعالى ونرتبها حسب كل زاوية خاصة بها فى النظرة إلى الكون ويكفينا فى هذا البحث هنا أن نذكر كلمة لرجل خاض فى علم الكلام وعاش فيه وهو الإمام الغزالى حيث يقول :

« الأصل الأول : معرفه وجوده تعالى : وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الإعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى : ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال

أوتاداً وخلقناكم أزوجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ، وبنينا فوقكم سبعا شداداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً»(١)

وقال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »(٢) .

وقال تعالى « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً »(٣) .

وقال تعالى : « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون إلى قوله تعالى للمقوين (٤) .

فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذ تأمل بأدنى فكره مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره ، وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفه بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض (٥) .

---

(١) سورة النبأ من الآيات (٦ — ١٦) .
(٢) سورة البقر آية ١٦٤
(٣) سورة نوح آية (١٥ — ١٨) .
(٤) الواقعة (٥٨ — ٧٣) .
(٥) إبراهيم (١٠)

ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله ، وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله فإن ذلك كان مجبولا من فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان مشابهم، ولذلك قال عز وجل : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله »(١) .

وقال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »(٢) .

فإن فى فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغنى عن إقامة البرهان(٣) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

« وبالله التوفيق » .

---

(١) لقمان آية (٥٢) . (٢) الروم آية (٣٠) .
(٣) راجع قواعد العقائد من الكتاب أحياء علوم الدين جـ ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥

المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — ظلال القرآن ، لسيد قطب .

٣ — صحيح البخارى ، للإمام البخارى .

٤ — صحيح مسلم ، للإمام مسلم

٥ — أحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى .

٦ — الاقتصاد فى الاعتقاد ، للإمام الغزالى تحقيق الشيخ مصطفى أبو العلا

٧ — الله والعلم الحديث ، عبد الرازق نوفل .

٨ — الله يتجلى فى عصر العلم ، لمجونه من العلماء الأمريكين .

٩ — شرح الإرشاد لأبى بكر بن ميمون ، تحقيق أحمد حجازى السقا .

١٠ — شرح المواقف للقاضى الأيجى ، تحقيق د / أحمد المهدى .

١١ — العقيدة ، عبد الرحمن الميدانى .

١٢ — غاية المرام فى علم الكلام ، للآمدى .

١٣ — فلسفة ابن رشد ، تحقيق د / مصطفى عمران .

١٤ — كشف الظنون لحاجى خليفة .

١٥ — مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، لابن رشد تحقيق د / محمود قاسم .